سلسلة حديث الأنبياء (9)

النبيان الكريمان

زكريا ويحيى

عليهما السلام

الأستاذ

إبراهيم أحمد قشطة

مطبعة نافذ
0599920845

المحتويات

المقدمة

هذه قصة نبيّي الله زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، والتي دارت على أرض فلسطين، ومع بني إسرائيل، هذه القصة تحكي بداية التشريع العيسوي، حيث كانت دعوة زكريا ويحيى الإرهاصات الأولى لدعوة عيسى – عليه السلام – إلى بني إسرائيل.

وقد اجتهدت في هذا الكتاب أن أوضح أهم محطات دعوة هذين النبيين الكريمين، وعمدت فيه إلى تصحيح المعلومات غير الصحيحة التي شوهت قصتهما، وقد وقع الكتاب في فصلين:

حيث جاء الفصل الأول (قصة نبي الله زكريا عليه السلام) يحكي بداية بعثة زكريا لبني إسرائيل، وسرد الفصل كفالته الميمونة لمريم العذراء البتول، وذكر الفصل خبر ولادة يحيى المعجز، وصفات هذا الغلام الطاهر التقي، وذكر الفصل البينة التي أعطاه الله لزكريا؛ ليطمئن قلبه بأن زوجته حملت بغلام طاهر، وخُتِم الفصل بالحديث عن موت زكريا عليه السلام.

أما الفصل الثاني (قصة نبي الله يحيى عليه السلام) فقد تناول قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام، فذكر وقت ميلاده، ونشأته الطيبة الحسنة، وذكر بعثته إلى قومه بني إسرائيل ودعوته لهم، وناقش الفصل الأكاذيب حول قتله، وخُتِمَ الفصل بذكر الفوائد المستفادة من قصتهما عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إبراهيم أحمد قشطة

الفصل الأول

قصة نبي اللّه

زكريا

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الأنعام: ٨٥)

الفصل الأول

قصة نبي الله زكريا - عليه السلام -

تمهيد:

" ذُكر اسم زكريا – عليه السلام – في القرآن الكريم ثمان مرات، في كل من سور الآتية: آل عمران، والأنعام، ومريم، والأنبياء." (محمد الصابوني)

وذكرت قصته مفصلة في سورتي آل عمران، ومريم، ويرجع نسب زكريا إلى سليمان بن داود عليهما السلام؛ لذا هو على وجه القطع من رسل بني إسرائيل، الذين يجب الإيمان بهم على وجه التفصيل، وهو أبو النبي يحيى عليهما السلام.

فائدة لغوية: في زكريا أربع لغات: لغة المد: زكرياء، ولغة القصر: زكريا، ولغة حذف الألف مع تخفيف الياء: زكري، ولغة تشديد الياء وحذفها: زكريّ.

بعثة زكريا عليه السلام:

بعث الله تعالى زكريا – عليه السلام – نبيًّا كريمًا إلى بني إسرائيل، **متى كانت بعثة زكريا؟**

الذي يظهر أن بعثته كانت قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام، قال الصابوني : " كانت رسالته قبيل ميلاد السيد المسيح ابن مريم عليه السلام." (محمد الصابوني)

أُرسل زكريا – عليه السلام – إلى بني إسرائيل، وقد قدر الله أن تكون بعثته – عليه السلام – في أشد أوقات وأزمان بني إسرائيل فجورًا ومنكراتٍ وعصيانًا.

قال الصابوني: " طغت على الأمة الإسرائيلية موجة عنيفة من التفسخ والتحلّل، وطغيان المادية، حتى نسوا الله والدار الآخرة، وتسلط على الحُكم ملوك ظلمة جبابرة يعيثون في الأرض فسادًا، ويفعلون من الجرائم ما تقشعر له الأبدان، لا يراعون حرمة لنبي، ولا قدسية لدين، دينهم ما يوحي به شيطانهم، وعبادتهم ما تشتهيه أهواؤهم، وقد تسلّطوا على

الصالحين والأتقياء والأنبياء حتى سفكوا دماءهم." (محمد الصابوني)

وجوّ كهذا مشحون فجورًا وظلمًا وفسادًا، بالتأكيد سوف يلقى أي مصلح يسعى لإصلاحه العنت والمشقة، وبالفعل لقي زكريا – عليه السلام – من الحكام الظالمين، وشعب إسرائيل العنيدين، كلّ مشقة وصلف، فقد توالت عليه الأهوال والأحزان، وما تركته حتى وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبًا.

قصة كفالة زكريا لمريم البتول:

بداية: من مريم؟ مريم هي: مريم بنت عمران، وعمران هو من أكابر بني إسرائيل، ورؤسائهم وذوي المقامات العالية عندهم، أما أمها فهي: حنّة بنت فاقوذ، هكذا قال المفسرون، ولم يرد شيء صحيح يدل على أن اسم أم مريم هو حنة بنت فاقوذ.

على كل حال: مريم هي ابنة عمران رئيس قومه، وأمها كانت من شريفات بني إسرائيل، فأنعم بهذا النسب!!

وميلاد هذه الفتاة طيبة الأصل له قصة بديعة، **فيا ترى ما هي؟!**

ميلاد مريم:

تبدأ قصة ميلاد مريم بنذر نذرته امرأة عمران، حينما بان لها حملها بأن تحرر ما في بطنها لبيت المقدس؛ ليكون خادمًا لبيت الله، معدًا لعبادة الله، وذلك كان ظنًّا منها أن الذي في بطنها ذكرًا.

قال تعالى:﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ (آل عمران: ٣٥) أي: اذكر – يا محمد – لقومك قول امرأة عمران حينما حملت: يا ربّ إني جعلت ما في بطني خالصًا لك؛ لخدمة بيتك المقدس، فيا ربّ تقبل مني، إنك أنت – يا الله – وحدك السميع لدعائي وتضرعي إليك، والعليم بنيتي وضميري وما يدور في نفسي وخلدي.

وتأمل: هذا الدعاء الخاشع من امرأة عمران، ففيه أسمى ألوان الأدب والإخلاص، فقد توجهت – رضي الله عنها – إلى

خالقها بأعز ما تملك في هذه الدنيا، وهو جنينها الذي مازال في بطنها، توجهت به ملتمسة من الله تعالى أن يقبل نذرها.

تساؤلان:

1. لِمَ نذرت امرأة عمران هذا النذر؟

قال العدوي: " في الغالب – كما ذكر بعض أهل العلم – أن المرء إنما يريد ولده للأنس به والاستنصار والتسلي، ومنهم من يريده كي يُذكر به بعد موته، وأن يستغفر له كذلك، فكان من شأن امرأة عمران لما منّ الله – تبارك وتعالى – عليها بالحمل أنها نذرت أنّ حظها به من الأنس متروك لله، ونصيبها منه متروك لخدمة بيت الله عز وجل، ومثل هذا النذر صحيح والله تعالى أعلم." (مصطفي العدوي: ٢٠٠٢)

2. لِمَ ختمت امرأة عمران قولها بـ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ (آل عمران: ٣٥)؟

ختمت امرأة عمران قولها بـ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ (آل عمران: ٣٥) لاستدعاء القبول؛ وذلك من حيث إنّ

علمه تعالى بصحة نيتها وإخلاصها، مستدع لقبول نذرها، تفضلًا من الله وكرمًا.

على كل حال: وضعت امرأة عمران حملها، وتبينت أن مولودها أنثى، فقالت معتذرة إلى الله شاكية إليه الحال: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ (آل عمران: ٣٦) " وكأنها تشوقت أن يكون ذكرًا؛ ليكون أقدر على الخدمة وأعظم موقعًا، ففي كلامها نوع عذر من ربها." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

سمع الله مقالتها، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ (آل عمران: ٣٦) أي: لا يحتاج سبحانه إلى إعلامك، أليس هو الذي يعلم ما تزداد به الأرحام وتغيض؟! بلى، إنه العليم الخبير.

وهذا القول من الله تعالى به إيماء بديع إلى تعظيم هذا المولود الذي وضعته، وتفخيم شأنه، وللإشعار بأن هذه الأنثى سيجعلها الله تصلح لما يصلح له الذكور من خدمة بيته.

ثم قالت امرأة عمران: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ (آل عمران: ٣٦) أي: ليس الذكر كالأنثى في القوة والجلادة والصبر والقدرة على خدمة المسجد، فإنَّ الذكر – بلا شك – أقوى على ذلك من

الأنثى، كما أنّ الأنثى قد لا تستطيع في بعض الأحوال الدخول إلى المسجد لما قد يعتريها من حيض ونفاس.

تساؤلان:

1. هل قول امرأة عمران ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ (آل عمران: ٣٦) به تفضيل للذكر على الأنثى؟

الإجابة: لا، فمراد امرأة عمران من قولها هذا هو تفضيل الذكر على الأنثى من حيث القوة والجلد والصبر على خدمة المسجد، وثَمَّتْ أمور أخرى يفضل بها الذكور على الإناث منها: قوامة الرجل على المرأة، وكون الأنبياء من الرجال وغيرها.

2. هل قول امرأة عمران ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ (آل عمران: 36) تحصيل حاصل؟

الإجابة: لا، ليس قولها هذا تحصيل حاصل؛ لأنها لمّا نذرت أنّ ما في بطنها يكون خادمًا لبيت المقدس، تفاجأت بأنَّ مولودها أنثى، فأكدت بقولها ليس الذكر كالأنثى على حقيقة أنّ الأفضلية في خدمة المسجد تكون للذكور.

الحاصل: وضعت امرأة عمران أنثى، وسمتها مريم، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: ٣٦) ومريم

معناه في لغتهم: العابدة، وخادمة الربّ.

وأعاذتها بالله وأولادها من شرّ الشيطان الرجيم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: ٣٦) " فحصنتها بالله من عدوها هي وذريتها، وكان هذا أول حفظ وحماية من الله لها." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **ما من بني آدم مولود إلا يمسّه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسّ الشيطان، غير مريم وابنها، ثم يقول أبو هريرة: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: ٣٦)**" (رواه البخاري: (3431)، واللفظ له، ومسلم: (2366))

وفي التنصيص على إعاذتها وإعاذة ذريتها من الشيطان الرجيم رمز إلى طلب بقائها على قيد الحياة، حتى تكبر وتكون من الذرية الصالحة.

هذه بعض الكلمات الطيبات والدعوات الخاشعات من امرأة عمران عندما أحست بحملها، وعندما وضعته، فما كان من الكريم سبحانه إلا أن تقبّل مريم قبولًا جميلًا ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ (آل عمران: ٣٧) أي: " إن الله عز وجل تقبلها من أمها لما نذرت ما في بطنها، ورضيها وفاءً بالنذر الذي نذرته، وسلك الله بها مسلك السعداء وطريق الأتقياء." (مصطفى العدوي: ٢٠٠٢)

وتأمل: الفاء في قوله تعالى (فتقلبها)، حيث جاءت الفاء تفريع على الدعاء مؤذنة بسرعة الإجابة.

وتأمل: لم يقل تعالى: (فتقبلها ربها تقبلًا حسنًا)، بينما قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ (آل عمران: ٣٧)؛ لئن القبول يقتضي الرضى والإثابة.

ولم يتقبلها سبحانه وحسب، بل: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ (آل عمران: ٣٧) أي: سوى الله خلقتها من غير زيادة أو نقصان، ومنحها صورة جميلة حسنة، وهذب أخلاقها وحسن خلقها فكملت

خَلقًا وخُلقًا، فكان حالها كحال النبات الطيب الذي ينمو في الأرض الصالحة، حتى يؤتي أكله.

وفوق هذا وذاك ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران: ٣٧) أي: " جعل زكريا كافلًا لها متعهدًا للقيام بمصالحها." (محمد الصابوني)

كيف حدثت كفالة زكريا المباركة الميمونة لمريم؟!

تنازع بنو إسرائيل أيهم يكفل مريم، واختصموا في ذلك اختصامًا كبيرًا؛ لنيل شرف تربية هذه الفتاة الطيبة حسنة الخَلق والخُلق، وخروجًا من الخلاف، ورغبة في الاتفاق، اتجهوا إلى إجراء قرعة فيما بينهم، **فكيف أجروا القرعة بينهم؟**

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (آل عمران: ٤٤)

قال بعض العلماء: " ألقوا جميعًا الأقلام في الماء، فمن ثبت قلمه كفلها، ومن جرى قلمه مع الماء الجاري لم يكفلها، فجرت

أقلامهم جميعًا، وثبت قلم زكريا عليه السلام، فكفلها زكريا عليه السلام." (مصطفى العدوي: ٢٠٠٢)

وهكذا نال زكريا – عليه السلام – شرف كفالة مريم، وقد كانت كفالته لمريم – عليهما السلام – رحمة بمريم ورفقة بها، حيث إنّ زكريا كان أعظم أنبياء بني إسرائيل في ذلك الزمان، وبالفعل قد أينعت تربية زكريا الحسنة لمريم، حيث صارت مريم العذراء البتول من النساء الأربعة المذكورين في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " **خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد.**" (القرطبي: 2002)

تصحيح: هل صحيح أنّ مريم وفاطمة كانتا لا تحيضان؟

قال العدوي: " لم نقف على شيء ثابت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ذلك، والأصل أنهما كسائر بنات آدم." (مصطفى العدوي: ٢٠٠٢)

لذا القول الصحيح أنهما كانتا تحيضان كسائر بنات آدم، والله أعلم.

ولادة يحيى بن زكريا عليهما السلام:

نال زكريا – عليه السلام – من قومه ما نال من عنت ومشقة وصلف، حتى لم يعد به طاقة أو قوة لتحمل المزيد من أذاهم، وخشى على المؤمنين من بني إسرائيل أن يفتنهم طغاة قومه، فدعا ربه أن يرزقه بولد يواسيه في شيخوخته، ولا يتركه وحيدًا يقاسي متاعب الحياة وآلامها، ويخلفه في حمل الرسالة من بعده.

قال تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ (مريم: ٢) أي: " هذا ذكر رحمة ربك لعبده زكريا نقصّه عليك يا محمد." (محمد الصابوني)

﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ (مريم: ٣) أي: اذكر – يا محمد – لقومك ما كان من زكريا حين ناجى ربه ودعاه بصوت خفي.

تأمل: لم ينادِ زكريا ربه نداء علنيًا؛ قال المفسرون: " لئن الإخفاء في الدعاء أدخل في الإخلاص وأبعد من الرياء." (محمد الصابوني)

وتأمل: " ناجى (زكريا) ربه بعيدًا عن أعين الناس، بعيدًا عن أسماعهم، ناجاه (وهو) في عزلة يخلص فيها لربه، ويكشف له عما يثقل كاهله ويكرب صدره، ويناديه في قرب واتصال (ربّ) بلا واسطة ولا حرف النداء." (عدنان الكحلوت : ٢٠١١)

لله درّك يا زكريا مخلصًا مخبتًا لله**!!**

ويا ترى بِمَ ناجى زكريا ربه؟

قال تعالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾ (مريم: ٤ – ٦)

وإليك تفصيل مناجاته:

بدأ زكريا مناجاته لربه بمقدمة ضارعة خاشعة، وهي: التوسل بأحب الوسائل إلى الله، وهي إظهار ضعفه وعجزه، فقال: ﴿رَبِّ

إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾ (مريم: ٤) أي: " دعا في ضراعة فقال: يا رب، لقد ضعف عظمي، وذهبت قوتي من الكبر." (محمد الصابوني)

وفي هذه المقدمة الضارعة التبري الكامل من الحول والقوة، وتعليق القلب تعليقًا تامًا بحول الله وقوته.

لطيفة: لِمَ خصّ زكريا ذكر العظم بالذات؟

لأنه إذا ضعف العظم الذي هو عماد البدن، ضعف غيره من باب أولى.

وقال عليه السلام: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا﴾ (مريم: ٤) أي: انتشر الشيب، وهو الشعر الأبيض في رأسي انتشار النار في الهشيم، " والتعبير المصور يجعل الشيب كأنه نار تشتعل، ويجعل الرأس كله كأنما تشمله هذه النار المشتعلة، فلا يبقى في الرأس المشتعل سواد." (عدنان الكحلوت: ٢٠١١)

ثم أردف – عليه السلام – بعدما أظهر ضعفه وعجزه: ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ (مريم : ٤) أي: لم ترد ليّ – يا الله – دعاء من قبل في وقت من الأوقات، ولم تزل بي لطيفًا ولدعائي مجيبًا، وأنا في قوتي، فما أحوجني الآن في هرمي وكبري أن تستجيب لي، وتتم النعمة عليّ.

قال البيضاوي: " هذا توسل بما سلف له من الاستجابة، وأنه تعالى عوّده بالإجابة وأطمعه فيها، ومن حقّ الكريم أن لا يخيب من أطمعه." (محمد الصابوني)

ثم علل – عليه السلام – طلبه، فقال: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي﴾ (مريم: ٥) أي: "خفت بني العمّ والعشيرة من بعد موتي أن يضيعوا الدين، ولا يحسنوا وراثة العلم والنبوة." (محمد الصابوني)

قال السعدي: " وهذا فيه شفقة زكريا – عليه السلام – ونصحه، وأن طلبه للولد ليس كطلب غيره، قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

ثم اشتكى – عليه السلام – أنّ امرأته كانت عاقرًا: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ (مريم: 5) أي: لا تلد لكبر سنها، أو أنها لا تلد أصلًا.

وتأمل: تذلّل زكريا لربه بأمور ثلاثة: **أولها:** أنه ضعيف، **وثانيها:** أنّ الله ما رد دعاءه من قبل ألبتة، **وثالثها:** كون المطلوب بالدعاء سببًا للمنفعة في الدين، وذلك مما يزيد الدعاء توكيدًا لما فيه من الاعتماد على حول الله وقوته، والتبري عن الأسباب الظاهرة.

ثم شرع – عليه السلام – بالتصريح بسؤال الولد، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ (الأنبياء: ٨٩) أي: قال زكريا بتضرع: ربّي لا تتركني وحيدًا في هذه الحياة الدنيا، وأنت يا الله خير من يبقى وغيرك لا محالة يفنى.

قال الألوسي: " وفي هذه الآية مدح لله تعالى بالبقاء، وإشارة إلى فناء من سواه من الأحياء." (محمد الصابوني)

وقال زكريا – عليه السلام – أيضًا: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ (مريم: 5) أي : " فارزقني من محض فضلك ولدًا صالحًا يتولاني." (محمد الصابوني)

ما المقصود بهذه الولاية؟

قال السعدي: " وهذه الولاية، ولاية الدين وميراث النبوة والعلم والدين." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

لذا قال بعدها:﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ (مريم: 6) أي: يرث هذا الولد مني ومن أجداده الأقدمين الدين والنبوة والعلم.

قال البيضاوي: " المراد وراثة الشرع والعلم فإنّ الأنبياء لا يورثون المال." (محمد الصابوني)

وقال الأنصاري: " وورث يتعدى بنفسه وبمن، وقد جُمِعَ بينهما في الآية، وقيل: (من) للتبعيض لا للتعدية؛ لئن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء، وعلى الأول المراد من

(آل يعقوب) الأنبياء؛ لأنهم الذين لا يرثون إلا العلم والنبوة." (زكريا الأنصاري: 2003)

وتأمل: قول زكريا عليه السلام: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ (مريم: 5) ستجد فيه اعتراف عميق من زكريا بقدرة الله تعالى عليه، وسبب هذا الاعتراف أنّ مثل هذا العطاء لا يُرجى إلا من الله تعالى، خاصة بعد تقدم السنّ بزكريا، وعقم زوجته.

ثم ختم زكريا دعاءه، فقال: ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ (مريم : 6) أي: " (اجعل هذا الغلام) عبدًا صالحًا ترضاه وتحببه إلى عبادك." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

وتأمل حال زكريا – عليه السلام – في دعائه: " لم ييأس – عليه السلام – من دعا ربه؛ لئن القنوط من رحمة الله تعالى فسوق، والملال من الدعاء بأنَّ يقول: قد دعوت فلم يستجب لي، فإن هذا مما يحبط الدعاء، والله تبارك وتعالى يحب الملحاح في الدعاء المتذلل، وفي هذا جاء عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " **لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع بإثم**

أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء." (رواه مسلم: ٢٧٣٥)" (عدنان الكحلوت: ٢٠١١)

ما سبب طلب زكريا – عليه السلام – الولد؟

أبدع العلماء في ذكر هذه الأسباب التي من أجلها طلب زكريا عليه السلام الولد، منها:

1. زكريا لم يكن له أولاد، وحبّ الذرية هي طبيعة كلّ البشر؛ لذا كان طلب زكريا أن يكون له ذرية، يستمتع بهم، ويأنس بجوارهم، جاء متوافقًا مع الطبيعة البشرية.
2. عندما شاهد زكريا الرزق الذي كان يأتي مريم، وهي في كفالته من غير كسب ولا تعب، حيث ساقه الله إليها كرامة ورحمة بها، عندها طمعت نفس زكريا بالولد، فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ (آل عمران: ٣٨)

تصحيح : ذُكر أن المراد برزق مريم هنا: فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وهذا القول رغم أنه قول جمهور المفسرين إلا أنه يعوزه الدليل، وكلمة الرزق أعمّ من الذي ذكروه، والله أعلم.

3. ما جاء على لسان زكريا:﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ (مريم: ٥) أي: طلبه الولد كان خشية تضيع عشيرته أمر الدين.

زكريا يرزق بيحيى عليهما السلام:

استجاب الله دعوة نبيه زكريا﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ (الأنبياء: ٩٠) أي: أجبنا دعاءه، **وتأمل**: الفاء في

قوله (فاستجبنا) تشعرك بسرعة الإجابة، فقال تعالى:﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ (الأنبياء: ٩٠) أي: رزقناه منا بغلام تقي اسمه يحيى.

ولعظم هذه الهبة، جاءت لزكريا كبشارة، حيث قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ (آل

عمران: ٣9) أي: ناداه جبريل، وقيل عموم الملائكة، حال كون زكريا متعبدًا قائمًا بالصلاة، **وتأمل:** الفاء في قوله (فنادته) حيث تشعرك – أيضًا – بسرعة الإجابة.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ﴾ (آل عمران: 39) أي : يبشرك الله تعالى بأنك ستكون أبًا لغلام اسمه يحيى، وفي اقتران التبشير بالتسمية بيحيى إشعار لطيف خفي بأنّ هذا المولود سيحيا اسمه، وسيعلو ذكره بعد موته، وبذلك تتحقق الإجابة التامة لزكريا عليه السلام.

فائدة نحوية: اسم (يحيى) المشهور أنه منقول من الفعل المضارع، نحو: يزيد، وأحمد. وبسبب هذا تكون علة منعه من الصرف العلمية ووزن الفعل.

وذكر: أنّ اسم يحيى اسم أعجمي لا اشتقاق له، وعلى ذلك يكون امتناعه من الصرف للعلمية والعجمة، وهذا هو الصواب.

ثم ذكر سبحانه ليحيى أربع صفات حميدة جميلة، **وهي:**

1. ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ٣٩) أي: " إنّ يحيى – عليه السلام – يصدق بعيسى عليه السلام، أي يؤمن به وبرسالته." (مصطفى العدوي: ٢٠٠٢)

وتأمل: خصّ الله تعالى يحيى بهذه الأفضلية مع أنّ هناك الكثير من المؤمنين يصدقون بعيسى؛ لئن تصديق يحيى بعيسى كان في وقت شديد الحساسية، كون عيسى جاء من غير أب.

2. ﴿وَسَيِّدًا﴾ (آل عمران: ٣٩) ومعنى سيدًا أي: يسود قومه ويفوقهم في الشرف والعفة والتقوى، قال قتادة: " إي والله لسيد في العبادة والحلم والعلم والورع." (مصطفى العدوي: ٢٠٠٢)

3. ﴿وَحَصُورًا﴾ (آل عمران: ٣٩) أي: " يحبس نفسه عن الشهوات عفة وزهدًا، ولا يقرب النساء مع قدرته على ذلك، وما قاله المفسرون: إنه كان عنينًا، فباطل لا يجوز على الأنبياء؛ لأنه نقص وذمّ، والآية وردت مورد المدح والثناء." (محمد الصابوني)

قال ابن كثير نقلًا عن القاضي عياض: " اعلم أنَّ ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان حصورًا، ليس كما قاله بعضهم أنه كان عنينًا أو لا ذكر له، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين، وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب، أي: لا يأتيها كأنه حصور، أو يمنع نفسه من الشهوات، وقد بان لك من هذا أنّ عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها، إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله كيحيى عليه السلام." (محمد الصابوني)

أما أثر عبدالله بن عمرو بن العاص: " ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا، ثم قرأ سعيد ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ (آل عمران: ٣٩)، ثم أخذ شيئًا من الأرض، فقال: الحصور ما كان ذكره مثل ذي، وأشار يحيى بن سعيد القطان بطرف إصبعه السبابة." (مصطفى العدوي: ٢٠٠٢)

قال العدوي: " وسنده صحيح موقوفًا، ولكنّ لعلّ عبد الله بن عمرو تلقاه من الإسرائيليات، فهو معروف برواية الإسرائيليات، والله أعلم." (مصطفى العدوي: ٢٠٠٢)

4. ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (آل عمران: ٣٩) أي : سيكون هذا الولد عندما يكبر نبيًّا كريمًا من أنبياء الله الصالحين، وهذه البشارة أسمى وأغلى من الأولى التي أخبر فيها بولادة يحيى؛ لئن النبوة منزلة لا تعدلها منزلة في الشرف والفضل.

قال ابن كثير: " وهذه بشارة ثانية بعد البشارة بولادته وهي أعلى من الأولى، كقوله لأم موسى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧﴾ (القصص: ٧) " (ابن كثير: ١٩٨٧)

لطيفة: بُشر زكريا بالولد في المكان الصالح، وهذا يرشدنا إلى فائدة الجلوس في هذا الأماكن الصالحة.

الحاصل: بُشر زكريا ببشارة عظيمة، حيث بُشر بأنه سيكون أبًا لغلام، وأي غلام، سيكون أبًا لغلام سيد وحصور ونبي من الصالحين، مما جعله يقول من شدة فرحه: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ (آل عمران: ٤٠) أي: " كيف يأتيني هذا الولد مع أني طاعنًا في السنّ، وزوجتي عقيم لا تلد، وكلّ واحد من الأمرين مانع من وجود الولد، فكيف وقد اجتمعا؟!" (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

إشكال: زكريا هو الذي قد طلب من ربه الولد إبتداءً، فكيف لما بُشر به تعجب؟

قال العدوي: " لأهل العلم على ذلك أجوبة، منها:

1. أنه كان بين دعائه والوقت الذي بشر فيه أربعون سنة، وهذا قول ضعيف يدل على ضعفه أنه – عليه السلام – إنما سأل عند الكبر كما في سورة مريم حيث قال تبارك وتعالى:﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ

ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ
بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن
وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن
لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ
وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾ (مريم: ٢-٦)؛ فدل ذلك
على أنه دعا ربه - عز وجل - وهو كبير السنّ.

2. أنه تعجبٌ من سريع إجابة الله - عز وجل - لدعائه.
3. هل يرزق الولد من امرأته هذه، أم أنه سيتزوج بأخرى؟
4. هل سيرد شبابًا مرة ثانية، أم أنه سيرزق بالولد على هذه الحالة من الكبر؟
5. زكريا - عليه السلام - طلب مزيدًا من الحديث للاستماع بالحديث، والله تعالى أعلم. (مصطفى العدوي: ٢٠٠٢)

وقال السعدي: " لم يستحضر زكريا هذا المانع وقت دعائه لقوة الوارد في قلبه، وشدة الحرص العظيم على الولد، وفي هذه

الحال، حين قبلت دعوته، تعجب من ذلك." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

على كلّ حال بشّر الله تعالى زكريا بأمر خارق للعادة، وهو أنه سينجب غلامًا صالحًا بالرغم من أنّ امرأته عاقر، وهو كبير في السن، ولما تعجب زكريا من ذلك بين الله تعالى لزكريا أن هذا الخارق للعادة بالنسبة لقدرة الله التامة شيء هين يسير، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠﴾ (آل عمران: ٤٠) أي: " لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر." (محمد الصابوني)

وقال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ (مريم: ٩) أي: " قال الله لزكريا: هكذا الأمر أخلقه من شيخين كبيرين وخلقه وإيجاده سهل يسير." (محمد الصابوني)

وقال سبحانه: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ (مريم: ٩) أي: قُدرتي أوجدتك بعد أن لم تكن شيئًا مذكورًا، أفلا يوجد منك ولد وإن كنت شيخًا، وامرأتك عاقر؟

وهذه الآيات الكريمات بجانب تضمينها إزالة عجب زكريا، تتضمن – أيضًا – تقرير قضية إيمانية عامة، ألا هي: الله تعالى يفعل ما يشاء كيفما شاء بدون تقيد بسبب أو مسبب.

فالله تعالى قادر أن يجعل زوجته العقيم أمًّا!! قال تعالى: ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ (الأنبياء: ٩٠) أي: كانت عقيمًا فأصلحها بأن جعلها ولودًا.

يا الله!! على هذه العناية الإلهية بأنبيائه، وعلى هذا التودد والاهتمام بهم، فقد أصلح زوجة عبده ونبيه زكريا بأن صارت ولودًا، مما كان له كبير الأثر على استقرار حياة زكريا الأسرية، واتزان تفكيره، واستقامة وجدانه، وسكون وحشته.

فيا ترى ما الذي فعله زكريا وزوجته من قبل حتى يحظيا بكل هذه العناية الربانية والرعاية الإلهية؟!

تجد الإجابة في قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠) أي: " لقد كان زكريا وزوجه يسارعون في الإنفاق في وجوه الخير، وكانوا عبادًا تقربهم من

ربهم الرغبة فيما عنده، ويزيدهم الخوف فرارًا إلى ربهم، وكانوا خاشعين خاضعين متذللين، فمَنْ كانوا كذلك، (فكان حقًّا) على الله تعالى أن يستجيب لدعائهم، ولو بعد حين." (عدنان الكحلوت: ٢٠١١)

وتأمل: استخدام التعبير القرآني (يسارعون)، والمسارعة تكون مستعارة للحرص، وصدق الهمة، والجدّ لفعل الخيرات، فيكون التعبير القرآني بلفظ (يسارعون) تشبيهًا لمداومة واهتمام ومسارعة السائر الجاد في مسلكه إلى المكان المقصود.

آية حمل امرأة زكريا بيحيى:

ما أن سمع زكريا بهذه البشارة، واطمأن لحدوث المعجزة سرعان ما قال استعجالًا لهذا الأمر:﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ (آل عمران: ٤١) أي: يا ربّي، اجعل ليّ علامة على حمل امرأتي.

هل طلب زكريا علامة تدلّ على حمل زوجته كان شكًّا؟!

طلب زكريا هذه العلامة ليس شكًّا في خبر الله، وإنما هو كما قال الخليل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ

ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ (البقرة: ٢٦٠) فطلب زيادة العلم، والوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين.

وكيف أجاز زكريا لنفسه أن يطلب علامة على وجود الولد بعدما بشره تعالى به؟

قال الأنصاري: " ليبادر إلى الشكر، ويتعجل السرور، إذ الحمل لا يظهر في أول العلوق، فأراد معرفته أول وجوده." (زكريا الأنصاري: 2003)

الحاصل: أجاب تعالى طلبه:﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزًا﴾ (آل عمران: ٤١) أي: قال الله تعالى لزكريا: علامة حمل امرأتك بغلام أنك ستمنع من تكليم الناس، أي: لا تستطيع أن تكلمهم، مع أنك صحيح غير مريض، وذلك لمدة ثلاثة أيام إلا رمزًا.

توضيحات:

1. الكلام الذي كان زكريا ممنوعًا منه هو كلام الآدميين، أمّا الذكر من تسبيح قليل فغير ممنوع منه، ويفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠﴾ (مريم: ١٠)، فقد جعل الله المنع من تكليم الناس وحسب.
2. ذكر بعض العلماء: أنّ سبب منع زكريا من الكلام كان بسبب مرض منعه من الكلام كل هذه المدة، قال العدوي: " وهذا قول ضعيف؛ لقول الله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗا﴾ (آل عمران: ٤١) أي : وأنت صحيح، فالصواب أن المنع من الكلام يكون قهرًا، والله تعالى أعلم." (مصطفى العدوي: ٢٠٠٢)
3. وذُكر أن سبب منع زكريا – عليه السلام – من الكلام كان عقوبة له؛ لأنه قد طلب من الآيات الدالة على حمل امرأته بعد تبشير الملائكة له، فقد قال قتادة: " إنما

عوقب بذلك؛ لئن الملائكة شافهته مشافهة بذلك، فبشرته بيحيى، فسأل الآية بعد كلام الملائكة إياه فأخذ عليه لسانه." (ابن جرير الطبري: 2002)، وهذا القول من قتادة بعيد والله أعلم.

4. ذكر الله في سورة مريم أن المدة كانت ثلاث ليال، قال تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (مريم: 10)، بينما ذكر تعالى في سورة آل عمران: أن المدة كانت ثلاثة أيام، قال تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ (آل عمران: ٤١)، **فهل بينهما تعارض؟**

الجواب: لا تعارض بينهما إن شاء الله، فالمقصود أنّ آيته (عدم الكلام إلا رمزًا) حاصلة في الأيام الثلاثة بلياليها، قال الأنصاري: " كل منهما مقيدٌ بالآخر، فلا بدّ من الجمع بينهما." (زكريا الأنصاري: 2003)

5. ما المقصود بقوله تعالى: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ (آل عمران: ٤١)

قال ابن كثير: " أي: إشارة." (ابن كثير: 1987)

وقال الطبري: " أما الرمز فإن الأغلب من معانيه عند العرب الإيماء بالشفتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين أحيانًا، وقد يقال للخفي من الكلام الذي مثل الهمس بخفض الصوت، ونقل أيضًا عن بعض العلماء أن المراد بالرمز: عموم الإيماء والإشارة." (ابن جرير الطبري: 2002)

على كلّ حال نعود – والعود أحمد – لزكريا، فلمّا بُشر زكريا بهذه البشارة العظيمة خرج بها مسرورًا فرحًا على قومه من محرابه، مشيرًا إليهم أن قدسوا الله في كل وقت وحين، قال تعالى:﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ (مريم: ١١) أي: خرج زكريا على قومه من المحراب مسرورًا بهذه البشارة، وبين لقومه إشارةً؛ لئن لسانه عقل عن الكلام، أن قدسوا الله ونزهوه أوائل النهار وأواخره.

تساؤلات:

1. **ما المقصود بالمحراب؟**

المحراب هو المصلى، أو الغرفة التي كان يجلس فيها زكريا في المسجد، أو المسجد نفسه.

2. **لِمَ طلب زكريا من قومه أن يسبحوا الله مع أن البشارة له وحده؟**

قال السعدي: " لئن البشارة بيحيى في حقّ الجميع مصلحة دينية." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

3. **هل من الممكن أن تخاطب الملائكة بني آدم؟**

نعم، هذا ممكن، والدليل على ذلك:

- خاطب جبريل الرسول – صلى الله عليه وسلم – مرات عدة.
- خاطب الملائكة إبراهيم ولوط عندما دخلوا عليهما.
- الملائكة خاطبت زكريا كما مرّ معنا.
- في قصة الثلاثة: الأعمى، والأبرص، والأقرع، حيث خاطبهم ملك؛ ليختبرهم.

موت زكريا عليه السلام:

أحاط موت زكريا – عليه السلام – قصص خرافية دامية من نسج اليهود، وقد تناقلها – ويا للأسف – كثير من المفسرين في كتبهم، قال ابن كثير: " روى عبد المنعم بن إدريس بن سنان، عن أبيه، عن وهب بن منبه، أنه قال: هرب من قومه، فدخل شجرة، فجاءوا فوضعوا المنشار عليهما، فلمّا وصل المنشار إلى أضلاعه أنّ (أي: تألم)، فأوحى الله إليه لئن لم يسكن أنينك لأقلبن الأرض ومن عليها، فسكن أنينه حتى قطع باثنتين." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

ونحن لا نشك أن بني إسرائيل قد عدت على أنبيائها، فقتلت منهم الكثير، حتى وسموه بهذه الصفة البشعة، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (النساء: ١٥٥)

ولكننا نتوقف في خبر مقتل زكريا العجيب هذا؛ لئن الراوي هو وهب بن منبه، وكما معروف هو من مسلمة أهل الكتاب، وقد حمل لنا هذا الخبر من روايات بني إسرائيل، والتي لا تصلح

أن تكون مفسرة لكتاب الله، لذا السكوت عن كيفية موت زكريا أصوب، وردّ ذلك لعلم الله أسلم، ولا نجري وراء تفاهات روايات بني إسرائيل الذين ما زالوا يكذبون على الله ورسله.

الخاتمة

عاشت الأمة الإسرائيلية حينًا من الدهر أمة موحدة، مؤمنة بربها، متبعة رسلها، ولكنها سرعان ما غلبتها طبيعتها الملتوية المتلكئة العنيدة، المحبة للفسق والفجور والعصيان.

فكانت تضربها بين الحين والحين موجات عاتية من التحلّل والفسوق والوثنية والظلم.

كانت تضربها، فتجعلها أمة مسعورة تنهش الفضيلة، وتسفك الدماء الزكية دماء أنبيائهم وصالحيهم.

وفي كل موجة من هذه الموجات العارمة يرسل الله إليهم رسولًا منهم؛ ليعيدهم إلى جادة الطريق، وإلى الصراط المستقيم.

وقد كان زكريا – عليه السلام – من هؤلاء الرسل الذين تحملوا عبء تصويب بوصلة بني إسرائيل، وقد قدر الله أن تكون بعثة زكريا لبني إسرائيل في أشد الفترات التي مرّت على الأمة الإسرائيلية ظلمًا وفجورًا وعصيانًا، وبالطبع أمة كهذه طغت

عليها كلّ معانى الشرّ، وعمتها كل مظاهر الفُجر، سوف تحارب ما جاء به زكريا بكل طاقاتها وقسوتها.

وبالفعل لقى زكريا - عليه السلام - من قومه أشد البلاء، وساموه أسوأ العذاب، حيث توالت عليه الأهوال والأحزان، وما تركته حتى أوهنت عظمه وشيبت رأسه، وتركته بلا طاقة لتحمل المزيد من الأذى والأخطار.

عندها خشى زكريا - عليه السلام - على قومه أن تنجح فتن الحكام الظالمين، وتفلح مؤامرات المجان المارقين المتحلّلين، فتذهب بالبقية الباقية من توحيد بني إسرائيل.

فدعا زكريا ربه نداء خفيًا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٩)، فاستجاب الله دعاءه، وأجابه إلى طلبه، بأنَّ رزقه من فوره غلامًا سيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين، رزقه بيحيى الذي لم يكن له من قبل سميًا.

رزقه به على كبر سنّه وعقم زوجته؛ ليكون له سندًا ومعينًا في تبليغ بني إسرائيل.

هكذا عاش زكريا – عليه السلام – نبيًّا كريمًا داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، حتى أدى أمانة الدعوة، ولبّ نداء ربه، فصلى الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إبراهيم أحمد قشطة

الفصل الثاني

قصة نبي الله

يحيى عليه السلام

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (الأنعام: ٨٥)

الفصل الثاني

قصة نبي الله يحيى - عليه السلام -

تمهيد:

ذُكر اسم يحيى – عليه السلام – في القرآن الكريم في أربع مواضع: آل عمران، والأنعام، ومريم، والأنبياء.

وقد أثنى الله تعالى عليه بالثناء الطيب العاطر، ووصفه بالبر، والتقوى، والصلاح، والاستقامة، حيث قال:﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣﴾ (مريم: ١٣) فأنعم به من ثناء!!

وجعله الله مصدقًا بعيسى عليهما السلام، وسيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين، قال تعالى:﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (آل عمران: ٣٩)

كما أنه هو ابن النبي الكريم زكريا عليهما الصلاة والسلام ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ (آل عمران: ٣٤) فأنعم به من نسب!!

ولله درّ القائل:

أنا ابن الذي لم يخزني في حياته ومن شابه أباه فما ظلم!!

متى وُلِدَ يحيى؟

الظاهر – والله أعلم – أنّ يحيى وُلِدَ قبل ميلاد المسيح عيسى بن مريم بقليل، والظاهر المتحقق أنه قد عاصره، وعاشا معًا فترةً من الزمن، وكان فيها نعم المعين لعيسى – عليهما السلام – في جميع محطات دعوة عيسى لبني إسرائيل.

تساؤل: ما سبب تسمية الله يحيى بهذا الاسم؟

" ذُكر لئن الله تعالى أحيا به (عقم) أمّه، والاحتمال الثاني: لئن الله تعالى أحيا به الإيمان، وروي عن قتادة: وقيل سُمِيَ بيحيى؛ لأنه في علم الله سبحانه أن يحيى يستشهد، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وقيل غير ذلك." (عدنان الكحلوت: ٢٠١١)

تنويه: يلقب علماء النصارى يحيى بـ (يوحنا)، ويلقبونه بـ (المعمدان).

قال الصابوني: " يسمى يحيى عند علماء النصارى (يوحنا)، ويلقبونه (المعمدان)؛ لأنه كان قد تولى التعميد المعروف عند النصارى، وهو التبريك بالغسل بالماء للتوبة من الخطايا، وقد ظهر يحيى في ناحية الأردن ينذر الناس بالتوبة، فخرج إليه أهل القدس والقرى القريبة من الأردن، فكان يعمّدهم في النهر، وينذرهم باقتراب ملكوت السموات، وقد عمّد يحيى المسيح عيسى في نهر الأردن، وبرّك عليه وهو ابن ثلاثين سنة، وقد سأله اليهود: هل هو المسيح؟ فقال: لا، فسألوه: هل هو النبي؟ فقال: لا، فقالوا له: لماذا تعمّد إذا لم تكن المسيح ولا النبي؟ فقال: أنا صوت صارخ من البرية هيئوا طريق الربّ، وافعلوا سبله المستقيمة." (محمد الصابوني)

وهذا الكلام من نصوص النصارى الكاذبة، ويظهر ذلك جليًا من آثار الكذب الاختلاق فيه، والله أعلم.

فائدة إملائية: كلمة (يحيى) كتبت بالألف المقصورة شذوذًا، حيث هي اسم فوق الثلاثي، والحرف قبل الأخير ياء، فالأصل تكتب بالألف الممدودة هكذا: يحيا، ولكن حتى لا يُخلط بين (يحيى) الاسم، و(يحيا) الفعل، كتبت بالألف المقصورة هكذا: (يحيى).

نشأة يحيى عليه السلام:

نشأ يحيى نشأة طيبة حميدة، كما بشر الله تعالى بها: سيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين، نشأ يحيى نشأة الصلاح والتقى، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ (مريم: ١٢) أي: " (أعطيناه) الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير، والإكباب عليه، والاجتهاد فيه، وهو صغير حدث." (ابن كثير: ١٩٨٧)

نشّأ الله تعالى يحيى هذه التنشئة الطيبة رحمة من الله بأبويه أولًا، وعطفًا عليه وتزكية له من الخصال الذميمة ثانيًا، قال تعالى:﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗ﴾ (مريم: ١٣) أي: منحنا يحيى

من عندنا وحدنا رحمة عظيمة عليه، ورحمة في قلبه، جعلته يعطف على أبويه وغيرهما، وأعطيناه كذلك زكاة أي طهارة في النفس أبعدته عن ارتكاب ما نهى الله عنه، وجعلته سباقًا لفعل الخير، والحنان: الرحمة، والشفقة، والعطف، والمحبة.

وفوق ذلك وذاك ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم: ١٣) أي: " فاعلًا للمأمور، تاركًا للمحظور، ومن كان مؤمنًا تقيًا كان لله وليًا، وكان من أهل الجنة التي أعدت للمتقين، وحصل له من الثواب الدنيوي والأخروي ما رتبه الله على التقوى." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

يا الله!! ما أحسن هذه التنشئة الحميدة الجميلة!!

وليس هذا وحسب، بل: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (مريم: ١٤) أي: " لم يكن متجبرًا متكبرًا عن عبادة الله، ولا مترفعًا على عباد الله، ولا على والديه، بل متواضعًا، متذللًا، مُطيعًا، أوابًا لله على الدوام، فجمع بين القيام بحقّ الله ، وحقّ خلقه." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

وتأمل – يا رعاك الله – هذا الترتيب البديع اللطيف في ذكر نشأة يحيى الطيبة الحسنة، فذكر سبحانه أولًا طاعة يحيى لربه، وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى، ثم عطف عقب ذلك بذكر بره بوالديه وإحسانه لهما، ثم ختم بإحسانه إلى عباد الله تعالى.

هكذا نشّأ الله يحيى، وهكذا ترعرع، فكان حقًّا على الله أن تكون خاتمة وبعثه كحال حياته ونشأته، قال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ (مريم: ١٥) أي: تحية وأمان له منا يوم ولادته، ويوم يفارق هذه الدنيا بالموت، ويوم بعثه يوم القيامة.

قال السعدي: " وذلك يقتضي سلامته من الشياطين والشرّ، والعقاب في هذه الأحوال الثلاثة، وما بينهما، وأنه سالم من النار والأهوال، و(هو) من أهل دار السلام، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى والده، وعلى سائر المرسلين، وجعلنا الله من أتباعهم إنه جواد كريم." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

تساؤل: لِمَ خصّ تعالى هذه الأوقات بالذكر بالذات؟

خصّ تعالى هذه الأوقات بالذكر بالذات دون غيرها؛ لأنها أحوج الاوقات إلى الرعاية من الله من غيرها.

قال ابن عطية: " حيّاه في المواطن التي يكون الإنسان فيها غاية الضعف، والحاجة، والافتقار إلى الله." (محمد الصابوني)

وقال سفيان بن عيينة: أحوج ما يكون المرء في ثلاث مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم من قبل، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم.

لطيفة بلاغية: جاء لفظ (السلام) في قصة يحيى منكرًا ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ (مريم: ١٥)، بينما جاء لفظ (السلام) في قصة عيسى معرفًا ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ (مريم: ٣٣)، **فما السر في ذلك؟**

قال الأنصاري: " قال هنا في قصة يحيى منكرًا، وقال بعدُ في قصة عيسى معرفًا؛ لئن الأول من الله، والقليل منه كثير، والثاني من عيسى و(أل) للاستغراق أو للعهد، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾ (المزمل: ١٥ – ١٦) أي: ذلك السلام الموجه إلى يحيى موجه إليّ." (زكريا الأنصاري: 2003)

بعثة يحيى عليه السلام:

بعث الله تعالى يحيى – عليه السلام – إلى بني إسرائيل نبيًّا كريمًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وقد ذكرنا أنه قد عاصر المسيح عيسى عليه السلام، وقد كان نعم المعين للمسيح في جميع مراحل دعوة المسيح لبني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿يَـٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم: ١٣)

قال الصابوني: " في الكلام حذف والتقدير فلمّا وُلِدَ يحيى، وكبر، وبلغ السنّ الذي يؤمر فيه، قال الله له: يا يحيى خُذ التوراة بجد واجتهاد." (محمد الصابوني)

والسرّ في هذا الحذف هو المسارعة إلى الإخبار بإنجاز الوعد الكريم.

دعوة يحيى عليه السلام:

لم يذكر لنا القرآن الكريم ولا صحيح السنة ماهية دعوة يحيى لقومه، ولكننا نجزم أنه قد اجتهد في دعوتهم اجتهادًا عظيمًا، أليس يحيى هو ابن النبي الكريم زكريا؟! وأليس هو الذي قد قام

بأعباء الرسالة بعد وَهَنِ أبيه زكريا؟! وأليس قد عاصر عيسى؟! بلى، فبالتأكيد كانت دعوته دعوة حارة مخلصة مثل إخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

موت يحيى عليه السلام:

أحاط موت يحيى قصص عجيبة دموية من نسج اليهود، ويا للأسف قد تناقلها المفسرون والمؤرخون، ومن هذه القصص الغريبة العجيبة الدامية ما ذكره ابن كثير:

" وذكروا في قتله أسبابًا من أشهرها: أنّ بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج بعض محارمه، أو من لا يحلّ له تزويجها، فنهاه يحيى – عليه السلام – عن ذلك، فبقي في نفسها منه، فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها استوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها، فبعثت إليه مَنْ قتله، وجاء برأسه ودمه في طست إلى عندها، فيقال: إنها هلكت من فورها وساعتها." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وقال رحمه الله: " وقيل بل أحبته امرأة ذلك الملك، وراسلته فأبى عليها، فلمّا يئست منه تحيلت في أن استوهبته من الملك، فتمنع عليها الملك، ثم أجابها إلى ذلك، فبعث مَنْ قتله، وأحضر إليها رأسه ودمه في طست." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وهذه القصة العجيبة في قتله يبدو عليها آثار الكذب والوضع من بني إسرائيل، فتعدد أسباب قتله يؤكد على كذبها جميعًا، هذا من ناحية روايتها، أما من ناحية متنها، ففيها إغماض شنيع في حقّ يحيى، حتى صوّره كأنه دمية في يد بغية تفعل به ما تشاء، تقتله ثم تضع رأسه ودمه بين يديها في طست، فأي هوان أكثر من ذلك، فَصُنْ سمعك عن مثل هذه القصص المكذوبة.

والعجيب أنهم جعلوا لهذه القصة، وقصة قتل زكريا المزعومة أصلًا من السنة، فذكروا حديثًا منسوبًا عن ابن عباس: " أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليلة أُسري به رأى زكريا في السماء، فسلم عليه، وقال له: يا أبا يحيى، خبرني مَنْ قتلك؟! كيف كان؟! ولِمَ قتلك بنو إسرائيل؟

قال: يا محمد، أخبرك: إن يحيى كان خير أهل زمانه، وكان أجملهم وأصبحهم وجهًا، وكان كما قال الله تعالى: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ (آل عمران: ٣٩).

وكان لا يحتاج إلى النساء، فهويته امرأة ملك بني إسرائيل، وكانت بغية، فأرسلت إليه، وعصمه الله وامتنع يحيى عليها، فأجمعت على قتل يحيى، ولهم عيد يجتمعون في كل عام، وكانت سُنة الملك أن يعد ولا يخلف ولا يكذب، قال: فخرج الملك إلى العيد، فقامت امرأته فشيعته، وكان بها معجبًا ...، فلما أن شيعته قال الملك: سليني، فما سألتني شيئا إلا أعطيتك.

قالت: أريد دم يحيى بن زكريا.

قال لها: سليني غيره.

قالت: هو ذاك.

قال: هو لكِ!!

قال: فبعثت جلاوزتها إلى يحيى، وهو في محرابه يصلي، وأنا إلى جانبه أصلي، قال: فذبح في طست وحمل رأسه ودمه إليها.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فما بلغ من صبرك؟

قال: ما انفلت من صلاتي.

قال: فلما حمل رأسه إليها، ووضع بين يديها، فلما أمسوا خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه، فلمّا أصبحوا قالت بنو إسرائيل: قد غضب إله زكريا لزكريا، فتعالوا حتى نغضب لملكنا فنقتل زكريا.

قال: فخرجوا في طلبي؛ ليقتلوني وجاءني النذير، فهربت منهم وإبليس أمامهم يدلهم علي، فلمّا تخوفت ألا أعجزهم عرضت لي شجرة، فنادتني، وقالت: إلي! إلي! وانصدعت لي ودخلت فيها.

قال: وجاء إبليس حتى أخذ بطرف ردائي، والتأمت الشجرة، وبقي طرف ردائي خارجًا من الشجرة، وجاءت بنو إسرائيل، فقال: إبليس أما رأيتموه دخل هذه الشجرة، هذا طرف ردائه دخلها بسحره.

فقالوا: نحرق هذه الشجرة.

فقال إبليس: شقّوه بالمنشار شقًّا.

قال: فشققت مع الشجرة بالمنشار.

قال له النبي: هل وجدت له ألمًا أو وجعًا؟

قال: لا، إنما وَجَدَتْ تلك الشجرة التي جعل الله روحي فيها." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

هكذا روي الحديث، وأقول: يا العجب لهذا الكذب البواح!! وعلى مَنْ؟! على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يشكّ أي مسلم عاقل أنّ هذا الحديث مكذوب على رسول الله، وابن عباس منه براء.

قال ابن كثير: " هذا سياق غريب جدًّا، وحديث عجيب، ورفعه منكر، وفيه ما ينكر على كل حال، ولم يرد في شيء من أحاديث الإسراء ذكر زكريا – عليه السلام – إلا في هذا الحديث، وإنما المحفوظ في بعض ألفاظ الصحيح في حديث الإسراء: فمررت بابني الخالة يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

لذا الصحيح المتعين: أنّ قصة قتل يحيى ووضع رأسه ودمه في طست لبغية قصة مهلهلة من وضع اليهود، ووضعوها حتى ينتقصوا من نبي الله يحيى وأبيه زكريا عليهما السلام.

الفوائد المستفادة من قصة زكريا ويحيى عليهما السلام:

1. **حكم النذر:**

قال السعدي: " إنّ النذر مازال مشروعًا في الأمم السابقة، والنبي – صلى الله عليه وسلم – قال فيه كلمة جامعة للصحيح النافذ منه وللباطل، فقال : " **من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن**

نذر أن يعصيه الله فلا يعصه." (رواه البخاري: 6696)" (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٢)

فما المقصود بالنذر؟

النذر: " ما يوجبه الإنسان على نفسه من أعمال البر والطاعة." (محمد الصابوني)

كأن يقول إنسان: لله عليّ أن اعتمر هذا العام، أو: لله عليّ أن أصوم يومًا، إلى غير ذلك من الطاعات والقربات.

حكم النذر: متى صدر النذر بشروط إيجابه الصحيحة وجب الوفاء به، قال تعالى:﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (الحج: ٢٩)

ولقوله صلى الله عليه وسلم: " **من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه الله فلا يعصه.**" (رواه البخاري: 6696)

شروط صحة النذر:

ذكر الفقهاء جملة من الشروط، وهي:

- أن يكون النذر قربة وطاعة لله، كقولك: لله عليّ أن اعتمر هذا العام، أو: لله عليّ أن أصوم يومًا، إلى غير ذلك من الطاعات والقربات.

أما النذر بمعصية الله لا يصح، فإن قال شخص: لله عليّ أن أشرب الخمر، لا يصح ذلك، ولا يجب الوفاء به، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد.**" (رواه مسلم: 1641)

- أن يكون النذر فيما يملك الإنسان، فلا يصح فيما لا يملكه، فإذا قال شخص: لله عليّ أن أتصدق بمئة ألف دينار، وهو لا يملك إلا ألف، لزمه الوفاء – فقط – بالألف؛ لأنه يملك ذلك فقط، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد.**" (رواه مسلم: 1641)

- أن يكون النذر من الممكن وقوعه شرعًا، فإن قال شخص: لله عليّ أن أصوم الدهر كله، لا يصح ذلك؛ لأنه توجد أيام كأيام التشريق يحرم صومها.
- أن يكون النذر فيما يجب الوفاء به، فإن قال شخص: لله عليّ أن أستظلّ بظلّ، لا يصح ولا يلزم الوفاء به.

أنواع النذر: النذر نوعان:

- **النذر المطلق:** كأنّ يقول شخص: لله عليّ أن أحج هذا العام.
- **النذر المقيد:** كأنّ يقول شخص: إن شفيتُ من مرضي لله عليّ أن أصلي عشر ركعات.

وكلا النوعين يجب الوفاء بهما، إذا استوفيا الشروط السابقة.

ملاحظة: يُعدّ نذر امرأة عمران الذي ورد في قصة زكريا نذرًا مطلقًا، وليس بنذر مقيد؛ لأنها لم تعلق نذرها على تحقيق شيء، والله أعلم.

كراهية النذر:

قال الصابوني: " ولا ينبغي للمسلم أن يربط القربة والطاعة بالنذر، بل يفعل الخير والبر بدون شرط، فيتصدق بنية شفاء مريضه، ويصوم شكرًا لله على قدوم الغائب، ولا يقول: إن شفى الله مريضي، أو قدم غائبي، فعليّ كذا؛ لما ورد في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " **لا تنذروا فإن النذر لا يغني النذر من القدر شيئًا، وإنما يستخرج من البخيل.**" (رواه مسلم: 1640)

فالأفضل إذًا ترك النذر، وفعل الخير دون التعليق بشيء." (محمد الصابوني)

2. حفظ مريم وابنها عيسى – عليهما السلام – من الشيطان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **ما من بني آدم مولود إلا يمسّه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسّ الشيطان، غير مريم وابنها، ثم يقول أبو هريرة:**

﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ **(آل عمران: ٣٦)**" (رواه البخاري: (3431)، واللفظ له، ومسلم: (2366))

في هذا الحديث الشريف يخبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بمظهر من مظاهر عداء الشيطان لابن آدم، حيث ذكر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنّ كلّ مولود من بني آدم يمسّه الشيطان بيده من غير حاجز، فيصرخ عند ولادته من أثر هذا المسّ، باستثناء مريم وابنها عيسى عليهما السلام، فإنّ الله تعالى قد عصمهما من مسّ الشيطان وطعنه، حيث لما أراد الشيطان أنَّ يطعن فطعن الحجاب (المقصود بالحجاب هنا المشيمة)، وذلك كله ببركة دعاء أم مريم.

ولا يُعارض تفسير بكاء الطفل الصغير بمسّ الشيطان أو طعنه بما يذكر من الأسباب الطبيعية، كتأثر الوليد بدخول الهواء إلى رئته، وغير ذلك.

فإن بكاء الطفل قد يكون له أكثر من سبب، وإذا كان الأمر كذلك، فيحمل إخبار الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الإخبار بما هو أهم، لما فيه من تنبيه الناس على التحرز من الشيطان.

وفي هذا الحديث الشريف بيان عموم تسلط الشيطان على بني آدم برهم وفاجرهم، إلا أنّ الله تعالى يحفظ عباده، كما وعد تعالى بذلك.

وفي هذا الحديث – أيضًا – فضيلة ظاهرة لعيسى – عليه السلام – وأمه مريم رضي الله عنها، وفيه فضل الدعاء والحرص عليه.

3. كفالة الأتقياء الصالحين:

قال السعدي: " إنّ من نعمة الله على العبد أن يكون في كفالة الصالحين والأخيار، فإنّ المربي والكافل له الأثر الأعظم في حياة المكفول وأخلاقه وآدابه؛ ولهذا أمر الله المربين بالتربية الطيبة المشتملة على الحثّ على الأخلاق الجميلة، والترهيب من مساوئ الأخلاق." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٢)

4. الكرامات:

الكرامات يمنحها الله تعالى لأوليائه المخلصين من الأنبياء والصالحين كرمًا منه وتفضلًا في الحياة الدنيا، فأغرق الله قوم نوح بالطوفان، وأنجى نوحًا ومَنْ آمن به، وحفظ خليله إبراهيم من النار، وجعلها بردًا وسلامًا عليه، وفدى إسماعيل بذبح عظيم، وأيد الله موسى بتسع آيات بينات، وأغرق فرعون وهامان وجندهما إكرامًا لموسى، وشفى أيوب بعد ابتلاء شديدًا استمر ثمانية عشر سنة، وسخّر لداود الجبال يسبحن معه والطير، وألان له الحديد، وسخّر الريح لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر، وسخّر له الشياطين كل له غواص وبناء، وأيد الرسول الأمي الهاشمي محمد – صلى الله عليه وسلم – بكرامات كثيرة، منها: القرآن المعجزة، ورحلة الإسراء والمعراج العجيبة، وشق القمر الغريب، وحنين الجذع المدهش، وتسليم الحجارة العلني، وغيرها.

هذه بعض من كرامات الأنبياء، وأما كرامات الأولياء لحصر لها، ومنها كرامة مريم - عليها السلام - فكان كلما دخل زكريا عليها المحراب وجد عندها رزقًا.

5. هل تجوز القرعة في حلّ المشكلات؟

نعم، يجوز ذلك، والدليل أنّ ثلاثة من الأنبياء الكرام قد استخدموها: يونس، وزكريا، ومحمد صلى الله عليهم وسلم، قال تعالى عن يونس: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ١٤١﴾ (الصافات: ١٤١)

وقال تعالى في حقّ زكريا: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٤٤﴾ (آل عمران: ٤٤)

وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد أن يأخذ أحد نسائه إذا سافر أقرع بينهن، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه.

متى تكون؟

قال القرطبي: " قال ابن العربي: إنما فائدتها استخراج الحكم الخفي عند التشاح، فأمّا ما يخرجه التراضي فيه فباب آخر، ولا يصح لأحد أن يقول: إنّ القرعة تجري مع مواضع التراضي، فإنها لا تكون أبدًا مع التراضي، وإنما تكون فيما يتشاح الناس فيه ويضنّ به." (مصطفى العدوي: ٢٠٠٢)

أما كيفية إجرائها فلا صورة واحدة محدودة، وإنما الباب في هذا واسع.

6. جبر الخواطر:

في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ (آل عمران: ٤٠) أعظم الأمثلة على جبر الخواطر!!

كيف ذلك؟!

حيث قدم زكريا في هذه الآية كبره على عقم امرأته، وفي ذلك أدب عالٍ من زكريا، حيث راعى نفسية زوجته، فذكر ابتداء كبره، وكأنه السبب الأساسي في تأخر الإنجاب، ثم ذكر ثانية عقم زوجته، مع أنه هو السبب الرئيس، وتخيل: لو أنه ذكر أولًا عقم زوجته؛ لكسر نفسها، وجرح قلبها، وكأنه يقرعها بأنها غير قادرة، يا الله!! إنه أدب النبوة.

أما في سورة مريم قدم عقم زوجته على ذكر كبره، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨﴾ (مريم: ٨)؛ لأنه قال ذلك تعجبًا بعدما بشر بالغلام، فقدم المانع الأساسي الأكثر تعجبًا، وهو عقم الزوجة، ثم ذكر المانع الثاني الأقل تعجبًا وهو كبر سنه؛ لئن الرجل وإن كان كبيرًا في السنّ يمكنه أن ينجب، أما المرأة إن كانت عقيمًا لا يمكنها أن تلد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى

بعدما بُشر بالغلام، صار ذكر عقمها لا يؤثر على نفسيتها، حيث إنها تيقنت من أنها ستصبح أمًّا.

7. لطيفة بلاغية:

جاء في قصة زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ (آل عمران: ٤٠)، بينما جاء في قصة مريم: ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٤٧)، **فعبر القرآن في قصة ميلاد يحيى بالفعل (يفعل)، بينما عبر في قصة ميلاد عيسى بالفعل (يخلق)، فما السرّ في ذلك؟!**

قال فضل عباس: " فلقد عبر بالفعل (يفعل ما يشاء) في الآية الأولى؛ لئن لفظ الفعل غالبًا ما يجري على قانون الأسباب المعروفة، وعبر بـ (الخلق) في الثانية (يخلق ما يشاء)، فالخلق يجري في الإيجاد والإبداع.

ولما كان إيجاد يحيى من زوجين كسائر الناس، عبر عنه بالفعل، لكن إيجاد عيسى – عليه الصلاة والسلام – جرى على غير قانون الأسباب والمسببات، فعبر عنه بالخلق، ولا تنسى أن قصة زكريا ذُكر فيها الغلام، وقصة مريم ذُكر فيها الولد؛ لئن قضية الولادة هي المعجزة، أما ذكر الغلام في سورة مريم ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ (مريم: ٢٠)، فموافقة لجبريل حينما قال لها ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ (مريم: ١٩)." (فضل عباس وسناء عباس)

8. الفرق بين امرأة وزوجة وصاحبة:

بداية: يوجد فرق كبير بين هذه المصطلحات الثلاثة لغة، فكلمة امرأة تأتي في اللغة بمعنى: العلو والارتفاع، والمرأة وامرأة تأنيث المرء.

أما كلمة زوج تأتي في اللغة بمعان عدة، أهمها:

- تأتي بمعنى: " كل واحد معه واحد من جنسه." (إبراهيم مصطفى، وآخرون)، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥)
- تأتي بمعنى: " الشكل يكون له نفيض كالرطب واليابس، والذكر والأنثى." (إبراهيم مصطفى، وآخرون)
- تأتي بمعنى: القرين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ (الأحزاب: ٣٧)
- تأتي بمعنى: النظير والمثيل، قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ (هود: ٤٠)
- تأتي بمعنى: بعل المرأة.
- تأتي بمعنى: الصنف، قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ (الحج: ٥)

أما كلمة الصاحبة لغة: " تأتي بمعنى الزوجة، وفي التنزيل: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (الجن: ٣)" (إبراهيم مصطفى وآخرون)

هذا من حيث اللغة، أما من حيث الفرق بينهم في القرآن الكريم، فهو كالآني:

كلمة (امرأة) في القرآن:

كلمة (امرأة) في القرآن الكريم تستخدم لكلّ أنثى تخصّ الرجل سواء كانت: أمّه، أو زوجته، أو أخته، أو بنته، أو غير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ (القصص: ٢٣)

كلمة (امرأة) في القرآن الكريم بمعنى الزوجة:

إذا جاءت كلمة (امرأة) في القرآن وقُصد بها الزوجة، دلت على أنَّ العلاقة الزوجية بين الرجل وامرأته علاقة ضعيفة وغير متينة، أو تقوم على غير الأسس التي يريدها الله.

وتأمل الأمثلة الآتية:

قال تعالى:﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ (يوسف: ٣٠)، فعبر القرآن هنا بلفظ (امرأة العزيز)؛ لئن الحياة الزوجية السليمة قد تعطلت بين العزيز وامرأته، بسبب كفرهما، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بسبب خيانة امرأة العزيز.

وكذلك قوله تعالى:﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ (المسد: ٤)، فعبر القرآن هنا بلفظ (امرأته)؛ لئن الحياة الزوجية السليمة قد تعطلت بين أبي لهب وامرأته أم جميل، بسبب كفرهما.

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠)

فعبر القرآن هنا بلفظ (امرأة نوح وامرأة لوط)؛ لئن الحياة الزوجية السليمة قد توقفت بسبب تباين العقيدة، حيث نوح ولوط من الأنبياء الكرام، بينما امرأتهما كانتا كافرتين.

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (التحريم: ١١)

فعبر القرآن هنا بلفظ (امرأة فرعون)؛ حيث إنَّ آسية كانت مؤمنة، بينما فرعون كان كافرًا، فلا انسجام بينهما.

قال السهيلي: " لم يقل في حق هؤلاء الأزواج؛ لأنهن لسن بأزواج لرجالهن في الآخرة؛ ولئن التزوج حلية شرعية، وهو من أمر الدين فجرد الكافرة (والكافر) منه." (مصطفى العدوي: 2002)

أما قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ (مريم: ٥)، فقد عبر القرآن هنا بلفظ (امرأة)، بالرغم من أن زكريا نبي،

وزوجته مؤمنة، وكانا على وفاق تام من الناحية الدينية والإيمانية، **فما سبب التعبير بلفظ (امرأة) إذن؟**

وكذلك قوله تعالى:﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ (الذاريات: ٢٩)، فإبراهيم وسارة مؤمنان، **فَلِمَ عبر بلفظ (امرأة)؟**

وكذلك قوله تعالى:﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ (آل عمران: ٣٥)، فإنّ عمران وزوجته مؤمنان، **فَلِمَ التعبير بلفظ (امرأة)؟**

ذُكر: أن كان هؤلاء الأزواج نعم كانوا على وفاق تام من الناحية الإيمانية والدينية، لكنّ تأخر الإنجاب خدش هذا التوافق والانسجام بينهم، فلم تتحقق الحياة الزوجية بصورتها التامة، فجاء التعبير بـ (امرأة).

بينما قال السهيلي: " ذِكْر المرأة أليق في هذا المواضع؛ لأنه في سياق ذكر الحمل والولادة، فذكر المرأة هنا أولى به؛ لئن

الصفة التي هي الأنوثة هي المفضية للحمل والوضع، لا من حيث كانت زوجًا." (مصطفى العدوي: 2002)

والتعليل الأول أقرب، والله أعلم.

الحاصل: أنّ كلمة (امرأة) إذا قُصد بها معنى الزوجة في القرآن الكريم، دلت على أنَّ العلاقة الزوجية بين الرجل وامرأته علاقة ضعيفة وغير متينة، أو تقوم على غير الأسس التي يريدها الله.

كلمة (زوج) في القرآن:

أما استعمال كلمة (زوج) في القرآن يستخدم كثيرًا للتعبير عن الحياة الزوجية المتينة المترابطة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)

فعندما تحققت معاني الزوجية بوجود الرحمة والسكينة، تحقق معنى الزواج الحقيقي؛ فَحَسُنَ أن يعبر القرآن عن المرأة زوجة، والرجل زوج.

وبهذا المعنى عبر القرآن عن نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – بلفظ (أزواج) له في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)

وبنفس المعنى جعل القرآن حواء زوجًا لآدم – عليهما السلام – في قوله تعالى:﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥)

ونفس المعنى يتكرر – أيضًا – في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)

وأوضح مثال على ذلك: قوله تعالى:﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، فقد عبر القرآن هنا عن زوجة زكريا بلفظ (زوج)، بينما في سورة مريم عبر القرآن عنها بلفظ (امرأة)، والسبب في ذلك: أنه لما تحققت الحياة الزوجية على أتم صورة بأن رزقها الله بالولد والذرية، عبر القرآن بزوج.

الحاصل: أن كلمة (زوج) ومشتقاتها، لا تستعمل إلا بعد تمام العقد، والدخول، واستقرار الحياة الزوجية؛ لما في كلمة (زوج) من معنى الاقتران حسب الأصل اللغوي.

كلمة الصاحبة في القرآن:

وأما لفظ (الصاحبة): يستخدمه القرآن عند الإشارة إلى انقطاع العلاقة الفكرية والجسدية بين الزوجين؛ لذا في أغلب مشاهد يوم القيامة يستخدم القرآن التعبير بلفظ (الصاحبة)، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ (عبس: ٣٤ – ٣٦)

فلمّا انقطعت العلاقة الجسدية والفكرية بين الزوجين بسبب أهوال يوم القيامة، جاء التعبير القرآني بـ (الصاحبة)، وتأكيدًا على ذلك تأمل استخدام القرآن لفظ (الصاحبة) في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ (الأنعام: ١٠١)

فلم يقل القرآن: زوجة أو امرأة؛ وذلك لينفي سبحانه عن الأذهان – ولو تخيلًا – أي علاقة جسدية أو فكرية مع الطرف الآخر الذي ادعى الكافرون نسبه لله تعالى نفيًا قطعيًا وأمرًا مقضيًا.

الخاتمة

عاش زكريا – عليه السلام – حينًا من الدهر بلا ولد، يُقاسي آلام الوَحدة، ويتجرع وحشة فقدان الولد.

تمنى زكريا – عليه السلام – ولدًا من صلبه؛ ليكون أنيسًا له في شيخوخته، وناهضًا من بعده بأعباء الرسالة في قومه.

ولمّا كان زكريا وزوجته يسارعان في الخير، وهبهما الله على كبر سنّ زكريا – عليه السلام – وعقم زوجته غلامًا تقيًّا.

فرح به زكريا وزوجته فرحًا عظيمًا، واستقرت الأسرة به استقرارًا كبيرًا، وسماه يحيى، ولم يكن لهذا الغلام في زمانه من قبل سميًّا.

ترعرع يحيى في بيت النبوة، فنشأ نشأة نقية تقية، بعيدة كلّ البعد عن أدران الوثنية، وأحابيل الفسق والفجور الداهية، والتي كانت سائدة في عصره وزمانه.

كبر يحيى وصار في مبلغ الرجال، فتحققت بشارة الله تعالى لزكريا أن يكون ولده هذا نبيًّا من الصالحين.

فقد بعث الله تعالى يحيى إلى بني إسرائيل نبيّا كريمًا، قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ (مريم: ١٣)

فقام يحيى بأعباء الرسالة أحسن قيام، واجتهد في تبليغها خير اجتهاد، وقد عاصر يحيى المسيح عيسى عليهما السلام، فكان نعم المعين لعيسى في الدعوة إلى الله، حيث رافقه في دعوة بني إسرائيل إلى دين الله المستقيم، ونشر الخير والحقّ القويم.

هكذا عاش يحيى عليه السلام، عيشة مملوءة بالكفاح والاجتهاد في تبليغ دعوة الله للناس، ولم يكن حال يحيى مع قومه أحسن حالًا من أبيه زكريا، فنال يحيى من أذاهم ما نال، وتجرع من اللأواء ما تجرع، فصبر واحتسب عليه السلام، حتى لبى نداء ربه راضيًا مرضيًا، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ (مريم: ١٥)

إبراهيم أحمد قشطة

المراجع

1- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، بدون سنة نشر.

2- إسماعيل بن كثير الدمشقي، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد على الصابوني، دار التراث العربي للطباعة والنشر، ١٩٨٧ م.

3- إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة الصفا، ٢٠٠٢ م.

4- زكريا بن محمد الأنصاري، فتح الرحمن شرح ما يلتبس من القرآن، دار الكتب العلمية، 2003م.

5- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قصص الأنبياء فصول في ذكر ما قص الله علينا في كتابه من أخبار الأنبياء مع أقوامهم، أضواء السلف، ٢٠٠٢م.

6- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

7- محمد على الصابوني، النبوة والأنبياء، بدون دار نشر، بدون سنة نشر.

8- محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، بدون سنة نشر.

9- محمد علي الصابوني، الفقه الميسر، مؤسسة الريان، 2000م.

10- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٩٨٥م.

11- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار ابن حزم، ٢٠٠٢م.

12- مصطفى بن العدوي، التسهيل لتأويل التنزيل تفسير سورة آل عمران، دار ابن رجب، ٢٠٠٢م.

13- عدنان محمد الكحلوت، إعلام السادة النبلاء بسيرة صفوة العالمين من المرسلين والأنبياء، مكتبة ومطبعة دار المنارة، ٢٠١١م.

14- فضل عباس وسناء عباس، إعجاز القرآن الكريم، بدون دار نشر، بدون سنة نشر.

تمت بحمد الله